النبوة الخاتمة في بشارات السماء واقلام المفكرين الغربيين

النبوة الخاتمة في بشارات السماء واقلام المفكرين الغربيين

تأليف

السيد سالم الموسوي

هوية الكتاب

عنوان الكتاب : .. ..النبوة الخاتمة في بشارات السماء واقلام المفكرين الغربيين

المؤلف: .... السيد سالم الموسوي

الطبعة: .... الطبعة الأولى سنة ٢٠٢١ ميلادية

عدد الصفحات: ٧٤

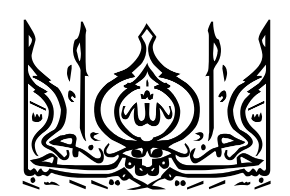
الإخراج الفني: .... الموسوي



للاستفسار والملاحظات ومزيد من المعلومات الاتصال على :-

 الهاتف النقال: ٠٧٧٠٥٥٩٩١٤ : التلغرام : ٠٧٧٠٥٥٩٩١٤٩

 الواتساب : ٠٧٧١٨٣٥٦٦٢١



﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾

الأحزاب: ٣٩

جدول محتويات البحث الاول



الفصل الأول : النبوات في تغيير وتجدد مستمر

1- اسباب التغيير والتجدد في النبوات

2-الديانة اليهودية والمسيحية استنفدت أهدافها فاستحقت التغيير

3- النبوة الخاتمة خاتم





١- اسباب التغيير والتجدد في النبوات

أن النبوة ككل الإيديولوجيات تحتاج في بعض أزمانها إلى التغيير والتجدد ولكنها تختلف عنها بان الذي يتكفل عملية التغيير هو : الله سبحانه وتعالى فهو الذي يهيأ ويختار رموز التغيير ومناهجه فكانت النبوات المتعددة عبر الزمن هي : انعكاس لذلك الأمر إلا أن وضع الله سبحانه وتعالى الحد النهائي للرسالة الخاتمة ،والتغيير ،والتجديد في النبوة له أسباب عديدة ممكن أن يقوم على أساس احدها ، أو على أساس أكثر من سبب واحد فمن هذه الأسباب : -

١- محدودية النبوة زمانا ومكانا : فقد تكون ذات أغراض ،وأهداف محدودة زمانا ،وتكون هذه النبوة قد استكملت أهدافها ،وأنهت شوطها المرسوم لها بمعنى : أن تكون النبوة قد جاءت لمرض طارئ على حياة الإنسانية ،ففي مثل هذه الحالة لا بد لها أن تخلي الميدان إلى نبوة تحمل أهدافا جديدة ،وتحمل شوطا جديدا لا بد أن تؤديه في خدمة الإنسان ،وعلاج ما يعتريه من امرض ،وإيصاله إلى المستوى المطلب .

٢- استفحال بعض الإمراض الفكرية ،والروحية ،والأخلاقية بسبب شروط موضوعية معينة ؛فتحتاج هذه الإمراض إلى نوع من العلاج يترفق الله سبحانه وتعالى في إنزاله من خلال وحي معين لأجل بيانه ،ولذلك قد تكون الوصفة المقدمة من الله تعالى في هذه الرسالة لعلاج هذا المرض ،أو الإمراض المخصوصة الاستثنائية ،فمن المنطقي ،والمعقول جدا أن لا تصح وصفة من هذا القبيل على كل زمان ،أو مكان ،فمثلا كانت المسيحية تتجه إلى نزعة

روحية مفرطة ،والتركيز على الجانب المعنوي بدرجة أكبر من التركيز على جوانب الحياة المعاشة المحسوسة ،وسبب ذلك الاتجاه الروحي المفرط للدين المسيحي فهو : كان علاجا لمرض عاشه بني إسرائيل..، فقد انغمس الإسرائيليون انغماس مطلقا في الدنيا وعلائقها ،وبذلك انشد اليهودي إلى درهمه ،وديناره ،ويومه ،وغده أكثر من انشداده إلى ربه ،وآخرته ،فحين يؤخذ هذا الإفراط خط عام للإنسان يعتبر شذوذا ،وانحرافا ؛لأنه دواء للمريض ،وليس طعاما للصحيح ،وهذا أمر معقول لتغيير النبوة ،فالنبوة قد استنفذت أغراضها، واستوفت أهدافها، باعتبارها رسالة صممت لعلاج حالة طارئة ، وقد استنفدت أغراض العلاج.

٣- الانحراف الفكري ،والعقائدي..، بسبب ضياع الموروث الفكري ،وتبدل النصوص الإلهية وتزويرها بعد غياب شخص النبي ،فإذا ضاعت النصوص ،والمفاهيم المعبرة عن تلك الرسالة تصبح مجرد رؤية تاريخية ،وشعارات غامضة غائمة باردة لا تعبر عن أي كيان مفاهيمي محدد في أذهان القاعدة الشعبية المرتبطة بتلك النبوة ،وفي مثل هذه الحالة لا يمكن أن تواصل هذه الدفعة الإلهية المتمثلة بتلك النبوة عملها لان الدفعة الإلهية لا يمكن أن تواصل عملها بدون كتاب منير : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾[1]..، وهذا الكتاب المنير يمثل الموروث الفكري ، والمفاهيمي الذي يمثل القاعدة للعمل النبوي ،ويمثل الإطار للحياة التي يقدمها النبي ،ويدعو إليها ،فإذا ماتت تلك القاعدة ،وذلك الإطار باضمحلال ذلك التراث تبقى النبوة مجرد مسالة تاريخية لا يوجد بالفعل في حياة الناس ما يجسد

(١) الحج: ٨.

مفهومها ،ومنظارها في واقع الحياة ،وفي مثل تلك الحالة لا بد من دفعة جديدة ،لكي يستأنف العمل ،ويستأنف الشوط من جديد في سبيل إعادة البشرية إلى ربها ،وإقامة دعائم العدل ،والحق ،والتوحيد على وجه الأرض وأيضاً هذا السبب نجده إلى درجة كبيرة في المسيحية بالذات. فالمسيحية بعد أن غادر السيد المسيح عليه السلام مسرح الدعوة والعمل، لم يبق من المسيحية شيء حقيقي يمكن أن يقام على أساسه العمل النبوي ،فالإنجيل الذي يحدثنا عنه القرآن الكريم فقد نهائياً ،لان الإنجيل الذي يحدث عنه القرآن الكريم كتاب انزل على السيد المسيحعليه السلام..، والأناجيل التي تعيش اليوم وكانت تعيش بالأمس هي كتب ألفها طلاب السيد المسيحعليه السلام..، على أفضل التقادير..، فالرسالة المتمثلة في الكتاب السماوي قد انطفأت، والحواريون كانوا من حيث القلة والتشتت والاضطراب الذهني، ما يجعلهم غير قادرين على حماية التراث الباقي في أذهانهم من السيد المسيحعليه السلام..، بدليل مراجعة هذه الأناجيل التي كتبوها ،فان هذه الأناجيل لا تحمل في الحقيقة وفي مجملها إلا سيرة السيد المسيح عليه السلام..، مع إبراز الجانب الغيبي والمعجز من هذه السيرة .

إذن لم يبق من السيد المسيحعليه السلام..، بعد انتهاء دوره على المسرح حصيلة مضيئة يمكن القيام على أساسها على الخط الطويل، العمل النبوي. فلم تبق منه إلا فكرة غائمة غامضة عن إنسان بات ليصلح..، وقال! ..، وعلّم ..،ثم انتهى، إما ماذا قال؟!.. وكيف انتهى؟!.. وماذا خلّف؟!.. وما هي شريعته؟!.. كل هذا بقي غائماً غامضاً، ولهذا ملئ بالتدريج بأيد بشرية تزعمت بعد هذا، المسيحية، فملئت هذه الفراغات الكبيرة التي تركها السيد المسيحعليه السلام..، خاصة بعد أن أصبحت المسيحية رومانية، ودخلت الإمبراطورية الرومانية في الديانة المسيحية رسمياً أولا وشعبيا ثانياً، في مثل هذه الحالة إذن هذه أيضا من

الأسباب المعقولة لتغيير النبوة ،وهي إن لا يبقى من ذلك النبي تراث حي يمكن أن يقام على أساسه العمل، وترتكز بموجبه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

٤- محدودية استعداد الإنسان ، والمجتمع لتحمل أعباء المسؤولية الأخلاقية للدعوة، يعني كون الإنسان بالغاً إلى درجة تؤهله لان يتحمل أعباء دعوة لها ضريبتها وواجباتها وآلامها وهمومها ،فمثل هذا التحمل أيضا له درجات، ولم يستطع الإنسان الحصول عليه بالطفرة ،بان يصل إلى درجة أعباء التحمل للرسالة العالمية الواسعة الغير محدودة الزمان والمكان، فلم يستطع أن يصل إلى هذا بالطفرة، وإنما استطاع إن يصل إلى ذلك عبر مران طويل، على تحمل المسؤوليات ،فالبشرية بقيت تتحمل المسؤوليات عبر مران طويل، ونمت خلال مرانها الطويل، حتى استطاعت أن تتحمل مسؤولية رسالة لا حد لها، ممتدة مع الزمان والمكان ، وإلا فأي مسؤوليات كانت تتحملها أمم الأنبياء السابقين، الأمم التي تنكشف أمامنا اليوم تواريخها هي أمم موسى وعيسى عليهم السلام .. ونحن بالمقارنة بين موسى وعيسى عليه السلام ،والمسؤوليات التي تحملتها الأمة الإسلامية حينما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله بالرسالة الخاتمة..، فالمقارنة ما بين هذا وذاك، يكشف درجة كبيرة في تحمل المسؤوليات، تعبر عن نمو الاستعداد على مر الزمن، وموسى مات وشعب بني إسرائيل في التيه، يعني وجه حياته ،ووجه كل إعماله بكل ما يمكن من جهاد وتضحية، في سبيل أداء رسالته، ولكنه أنهى حياته وشعب بني إسرائيل في التيه، كتب الله جل جلاله عليهم التيه أربعين سنة لأنهم لم يستجيبوا لمتطلبات الرسالة، لم يستجيبوا أبدا لما تقتضيه رسالة موسى عليه السلام بالنسبة إليهم، حتى خلفهم موسى حيارى ومات ،فأين هذا من امة حملت أعباء الرسالة الكبرى؟!..

٥- محدودية بعض الأنبياء أيضا من الأسباب التي يمكن أن يقام على أساسها التغيير في النبوة، هو أن تكون الرسالة التي هبطت على النبي، محدودة باعتبار محدودية نفس النبي، فان النبوة وان كانت مفهوماً عاماً، إلا أن هذا المفهوم العام على ما يقول المناطقة، يصدق على أفراده بالتشكيك ،وهناك على ما تقول الروايات نبي للبشرية، ونبي للقبيلة، وهناك نبوات تختلف من حيث السعة والضيق، باختلاف طبيعة النبي نفسه، باعتبار مستوى كفاءة القيادة الفكرية والعملية في شخص النبي ، فمحدودية الكفاءة القيادية في المجالين الفكري والعملي، مما يؤثر في تحديد الرسالة التي يحملها النبي، لان كل إنسان على الأرض ،لا يمكن أن يحمل رسالة يحارب ويدافع عنها حقيقة، ألا أذا كان مستوعباً لها استيعاباً كاملاً شاملاً، وهذا الاستيعاب الكامل الشامل، يتطلب من هذا الداعية أن يكون على مستوى هذه الرسالة ،ومن الواضح أن الأنبياء كغير الأنبياء ،يتفاوتون في درجات تلقيهم للمعارف الإلهية عن طريق الوحي من قبل اللهّ سبحانه وتعالى، ولهذا كانت بعض الرسالات محدودة بحكم محدودية قابلية الأنبياء أنفسهم ،حيث أن هذا النبي ليس مؤهلاً لان يحمل هموم البشرية على الإطلاق وفي كل زمان ومكان، بل هو مهيأ لان يحمل هموم عصره فقط ،أو هموم مدينته فقط ،أو هموم قبيلته فقط ،لأن ذاك الشخص الذي يحمل هموم البشرية على الإطلاق ،ويعيش مشاكلها على الإطلاق ، ليكتوي بنارها على الإطلاق ،ليس إلا ذو الدرجة العالية إلى اللهّ سبحانه وتعالى من الأنبياء ،والأوصياء.

فإذا كانت النبوة محدودة بطبيعة قابليات هذا النبي ،كان لا بد في خارج هذه الحدود الزمانية والمكانية، من نبوة أخرى تمارس عملها في سبيل اللهّ سبحانه..

٢- الديانة اليهودية والمسيحية استنفدت أهدافها فاستحقت التغيير

لقد أحاط بالبشرية ظلام حالك قبيل بعثة محمد ، كان ظلاما مطبقا ، وكان ليلا طويلا ، نشطت فيه الخرافات وانزوت الأفكار الصالحة ، ودب الجهل وانكمش العلم ، وعم اليأس وقل الأمل ، وأوشكت الإنسانية أن تفقد كل ما حققته الأجيال الطويلة من تقدم ، وأن تتردى في هوة سحيقة هي إلى عالم الحيوان أقرب . تعال بنا نجل جولة سريعة نصور فيها حياة الجنس البشري آنذاك ، فاليهودية : بنو إسرائيل خصهم الله بكثير من فضله ، وأرسل منهم لهم عدة من الرسل ليكونوا مصدر هداية ومبعث ضوء ورحمة ، ولكن طبيعة أكثرهم كانت إلى الشر أميل ، فراحوا يعتدون ويفسقون دون رادع من ضمير أو خلق ، واستمرءوا الفجور فأنزلوا بأنبيائهم ألوانا من الاعتداءات الأثيمة دونتها كتبهم المقدسة ،وصورها القرآن الكريم بقوله : {كلما قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴾[1]..، وانتقم الله لأنبيائه ورسله من ضللة بني إسرائيل ومن نسلهم الذين يعلم الله أنهم سيسيرون كأسلافهم طغيانا وسوء سيرة ، فجعلهم هدفا لمن ينزل بهم العذاب المهين إلى يوم الدين: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾[2]..، ولم يستطع أنبياء بني إسرائيل أن يحملوا الهداية إلى أكثر هذه

---

(١) المائدة: ٧٠.

(٢) الأعراف: ١٦٧.

القلوب الغلف ، وكان من اهتدى من بني إسرائيل يسرع إلى العودة للضلال كأنما كانت نفوسهم على وعد به ، وعلى نفرة مع الرضوان والهداية ، فالروايات تقص علينا خبر أولئك الذين اتبعوا موسى من بني إسرائيل وأنجاهم الله مما أنزله فرعون بهم من ذل ومهانة ، ولكنهم سرعان ما تخطف أبصارهم أصنام لقوم يعبدونها فيقولون لنبيهم : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . ويدعهم موسى في رعاية أخيه هارون ويذهب ليتلقى الألواح من ربه ، وفيها لهم نور من الله وهدى ، ولكن سرعان ما يتخذ هؤلاء من حليهم عجلا جسدا له خوار ، يعبدونه ويسجدون له من دون الله ، وقد حكى القرآن ذلك في الآيات الكريمة :

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾[1]

وأراد موسى أن يستغفر لقومه وأن يطلب من الله الرحمة ، فاختار سبعين رجلا من أتقيائهم ، ولكن هؤلاء هتفوا به : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .

تلك صور من ضلالات بني إسرائيل في حياة موسى وفي حياة هارون ، أما ضلالاتهم بعد ذلك فتكاد تكون سلسلة من البغي ، يقتلون فيها النبيين ،

---

(1) الأعراف: ١٤٨ - ١٥٢.

ويحرفون الكلم عن مواضعه ، وهكذا ، حتى خلا التاريخ أو كاد من هداية روحية يقدمها رجل من بني إسرائيل إلى الجنس البشري ، أو شعاع من الضوء النفسي يكون فيه للإنسانية هدى أو بصيرة

ثم جاءت المسيحية وقد تكالب اليهود على المادة ، ورأوا فيها كل مقومات الحياة ، وتفننوا في خلق الطرق للحصول على المال وتنميته ، غير مبالين بالوسائل التي يصطنعونها لنجاحهم في ذلك ، فهانت بهذا القوى الروحية والمثل العليا ، فاتجهت المسيحية لمعالجة هذا الداء ، واتجه السيد المسيح عليه السلام إلى الدعوة للصفاء الروحي والرحمة والتسامح والزهد ، وخلت المسيحية إلا من لمحات ضئيلة عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تكاد تذكر ، وأولى السيد المسيح ع عنايته لتطهير النفس والروح ومحاربة الجسم والمال ، ومما أثر عنه في ذلك قوله : – سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين – لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ، ولا لأجسامكم بما تلبسون – يعسر أن يدخل غنى ملكوت السماوات ، وأقول لكم إن مرور جمل في ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى ملكوت الله[1]. كان هذا هو اتجاه المسيحية في الشرق : العمل على التطهير الروح وتقوية الصلة بين الإنسان وخالقه ، أما تنظيم الحياة الدنيا وإحكام الصلة بين الفرد والفرد ، فلم ينل من المسيحية عناية تذكر ، وعبرت هذه الديانة من الشرق إلى أوربا فواجهت هناك – مع تجردها من المادة – أناسا شغلتهم المادة ، ولا تكاد تنقطع عندهم الحروب وحملات السلب والانتقام ، ولما اعتنقها هؤلاء أو بعضهم لم يجدوا فيها

---

[1] – انجيل متى الاصحاح السادس

عناصر كافية لتنظيم حياتهم المادية ، فاتخذوها وسيلة لصلة العبد بربه ، وبقيت صلة الفرد بالفرد خاضعة للقانون الأرضي الذي يضعه البشر .

وعلى هذا اتخذت المسيحية ثوب الزهد والتسامح وقنعت بهما ، وكان شعارها: (ما لقيصر لقيصر وما لله لله)..، واتجهت بكليتها إلى التطهير الروحي والتهذيب الوجداني ، وصاغت نفسها على أساس أن الدين صلة بين العبد والرب وأن القانون صلة بين الفرد والفرد وبين الفرد والدولة .

غير أن ذلك لم يقنع رجال الدين في بعض العصور ، فكثير منهم عشقوا السلطة والنفوذ ، وعشقوا أن يدخلوا الحياة العامة لا لإصلاح الحياة العامة ، وإنما ليستفيدوا هم من الجماهير الجاهلة ، ولكن تدخلهم في الحياة العامة أثار ثائرة الملوك والأمراء ، وقام نزاع بين هاتين القوتين ثم تم الوفاق بينهما على حساب الدهماء ، فأخذت الكنيسة سلطة بيع صكوك الغفران وإصدار قرارات الحرمان ، وأصبح الملوك سادة يملكون الأرض ويملكون رقيق الأرض .

وقبيل بعثة محمد خبا ضوء الطهر والزهد من المسيحية ، بما دخل عليها من خرافات وأباطيل حتى أصبحت ديانة وثنية . ويقول **Sale** العالم الإنجليزي عن نصارى القرن السادس الميلادي : (أسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية ، وجد خلاف عن طبيعة المسيح وما إذا كانت مزدوجة أو إلهية تلاشت فيها طبيعة المسيح البشرية كما تتلاشى قطرة من الخل تقع في بحر عميق لا قرار له)..، هذا فيما يتعلق بالمسيحية ، أما غير الدين من الشؤون في الغرب فقد كان متدهورا إلى أبعد غاية ، لقد كان نظام الاقطاع سائدا ، وفي ظل الاقطاع كان هناك أمراء وعبيد ، فالأمراء يملكون الأرض ورقيق الأرض ، والعبيد يعملون دون أن تكون لهم حقوق.

٣- النبوة الخاتمة خاتمة التجديد والتغيير

تقدم الكلام أن النبوة يطرأ عليها التجدد والتغيير تبعا للظروف ،والغايات التي تحققها تلك الرسالة ،وان هذه التغيير يرتبط بيد الغيب ،وان الله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل عملية التغيير ،ويعد لها الأشخاص ،والمناهج ،والأجواء المناسبة لكي تؤدي تلك الرسالة مهامها الملقاة على عاتقها ،ولابد أن تنتهي تلك النبوات ،والرسالات إلى نبوة ،ورسالة تحمل كل المميزات ،والصفات التي تمتعت بها جميع رسالات الأنبياء السابقين ،فتكون هذا الرسالات شاملة ،وعامة لكل البشر ،وتختم بها جميع النبوات ،وان هذه الرسالة الإسلامية قد جمعت في طياتها كل عناصر القوة ،ولم تكتفي بالجمع الكمي إلا أنها مزجت تلك العناصر مزجا نوعيا حيث جمعت كل الأشياء المقومة الأساسية والمكملة الفرعية فمن أهم العناصر المقومة التي جمعتها هذه الرسالة العظيمة هي : المبدأ الصالح المتمثل بالعقيدة الرصينة التي ملأت نفوس المسلمين طاقة وعملا ونشاطا وجهاد ومجابهة لأصعب المحن والشدائد : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[1] ..، كما أنها خلقت في نفوسهم الأمل بالله والوثوق بنصره..، والخلاص من كل قوى الضلال وجميع المحن ،وان كانت الحسابات المادية في غير صالحهم لضعفهم وقلت عددهم وتكالب الأعداء عليهم فقد كان هذا الأمل الحي القوي من اكبر القوى المعنوية التي كان يتمتع بها

---

(١) البقرة: ٢١٤.

المسلمون ،ويستعينون بها على الصبر والاستبسال في المحن ،وان هذا الأمل لم يقتصر على عالم الدنيا لكي يخفت في وقت من الأوقات ،أو يضعف كلما تمادى عليه الزمن ،بل انه أمل ممتد إلى حدود ،وأفاق لم يصل إليها فكر ،وعقل الإنسان فهو ممتد إلى عالم ما وراء الطبيعة عالم الآخرة عالم الثواب ،والعقاب لكي يعيش الإنسان دائما بين الخوف ،والرجاء ،كما أنها خلقت في نفوس إتباعه دوافع معنوية بعيدة كل البعد عن الدوافع الذاتية ،وحب الأنا لتقديم التضحيات بلا مقابل دنيوي سوى رجاء الأجر الأخروي ،وهذا ما يحتاج إلى تسخير الدوافع الأنانية والمثالية معا لصالح مبادئ الرسالة الإسلامية السامية ،كما أن هذه الرسالة قد مزجت بين ألوان مختلفة من العناصر التي قد تبدو للوهلة الأولى أنها عناصر متناقضة لا يمكن أن تجمعها عقيدة واحدة ،وديانة واحدة ،ورسالة واحدة ،فقد استطاع الإسلام العظيم أن يمزج بين العقل ،والعاطفة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] ..، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ

(١) البقرة: ١٦٤

ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[١]..،﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢] ..، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣] ..، فقد دفع الإسلام الإنسان إلى أن يستخدم سلطان العقل استخداما حكيما في معرفة المبدأ ،والمصير ،وجميع الحقائق الأخرى ،وان لا يكون جامد مقلدا معطلا لموهبة العقل ،كما انه دفع الإنسان إلى التأمل والتفكر واستعمال العقل في دراسة ظواهر الكون ،وتحليلها ،واكتشاف القوانين التي تحكمها ،وقد مزج ذلك بالعاطفة مزجا عجيبا ،وخلق منه شخصية فريدة مميزة قوامها الإيمان الواعي بتلك العقيدة المتشبع بالعاطفة الجياشة التي ملئت قلوبهم ونفوسهم بالخشوع للحق ،والانقياد إليه ،والانصياع إلى أوامره ،ونواهيه حتى تدب بها الحياة ،ويتحسسها وينفعل معها بشتى ألوان الانفعال والإحساس ،كي تصبح مصدر حركة ،وقوة دفع ،وليست مجرد فكرة عقلية لا يخفق ،ولا يستجيب لها الحس ولا تتدفق بالحياة : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٤]..، كما أنها مزجت بين لونين آخرين من ألوان الحياة كان وما يزال من المستحيل لأي عقيدة ،وفكر مزجهما ،والتوازن بينهما ،وهما الجانب الروحي ،والجانب المادي ،فالإسلام يعترف بالحقائق الروحية ،والمادية معا ،ويربط تلك الحقائق جميعا بسبب مشترك أعمق وهو : الله سبحانه وتعالى ،فالنظرة الروحية في جوهرها إذن عبارة عن إدراك صلة الحياة ،والكون

---

(١) الروم: ٢١ – ٢٥ .

(٢)الجاثية: ١٢ – ١٣.

(٣) ص: ٢٩.

(٤)الحديد: ١٦ .

بالله سبحانه وتعالى ،وانبثاقها عن قدرته ،وتقديره ،وبهذه النظرة يمكن أن نعتبر الكون بصورة عامة روحيا لان تلك الصلة بالمبدع الخلاق ،والإبداع يشمل المادة كما يشمل الروح ،وتنفذ تلك الرؤية إلى جميع محتويات الكون : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[1] ..، وبذلك خرجت تلك الأمة إلى مسرح الحياة امة متفردة بين سائر الأمم على مر التاريخ الإنساني : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2] ..، لأنها جمعت كل مقومات ،وعناصر القوة ،فاستحق هذا الدين أن يكون دبنا عالميا ،وليس خاصا بأمة ،وليس محصورا في وطن ،وإنما هو : للبشرية كلها في جميع الأوطان : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] ..، فكان من الطبيعي أن يكون كذلك لأنه دين البشرية الأخير ولن يتلقى الناس رسالة من السماء غيره حتى يكتب لهذا العالم الفناء ،ومن هنا كان نبي الإسلام هو: خاتم النبيين : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[4] ..، وما دام هذا الدين ،وقائده بهذه العظمة، وبهذا الخلود كان لابد أن يكون موردا للبشارة الإلهية في الأديان السابقة : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[5] ..، فكان هذا الدين هو : الأمل الذي كان يراود الإنسان

---

(1) الحج: ٤٦.

(2) آل عمران: ١١٠.

(3) الأنبياء: ١٠٧.

(4) الأحزاب: ٤٠.

(5)الصف: ٦.

المضطهد ،ويشغل فكره لينقذه من تلك العذابات التي كان يعيشها : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾[1] ..، وكان من الطبيعي أن تقف الطبقة المستغلة الطاغوتية في وجه هذا الدين الذي يتعارض بالضرورة مع مصالحها ،وأفكارها فتشوش على الناس أفكارهم ورؤاهم كي لا يهتدوا إلى سواء السبيل ،ولذلك كان الإسلام ونبيه العظيم المعرض الدائم للفكر الإنساني ،وكان يمثل أكبر الجدليات التي يواجهها الإنسان على مر العصور ،فكان معرضا للمواقف المتقابل فمن أنصف نفسه ،وعقله لا يجد بد إلا الإيمان به ،والإخلاص إليه ،ومن جانب الصواب ،والعقل والمنطق ،فتجده متحاملا على ذلك الدين ،ونبيه العظيم ، وكذلك نجد من أصحاب الأقلام من أنصف عقله فانه لابد ينصفه بقلمه ومنهم من ترك جانب العقل ،والصواب ،واندفع بهوى نفسه ،ورغبة بالدنيا وزخارفها فكانت شخصية الرسول العظيمة بين ،الإنصاف ، والتحامل من أقلام الكتاب ،والمفكرين .

---

(1) البقرة: ٨٩ .



الفصل الثاني : النبوة الخاتمة موردا للبشارات التوراة والانجيل والانبياء

١- النبوة الخاتمة موردا لبشارة الاديان المتعاقبة
٢- الملك المنتظر هو النبي الخاتم
٣- النبوة في ذرية إسماعيل ع المباركة
٤- اهل التوراة والانجيل يحرفون الكلم عن مواضعه
٥- إشعيا رمز لمكة : (بالعاقر)
٦- بشارة يعقوب عليه السلام بشيلون (رسول اللّه)
٧- موسى عليه السلام يبشر بظهور نبي ورسول مثله
٨- المزامير تبشر بصفات نبي آخر الزمان




١- النبوة الخاتمة موردا لبشارة الاديان المتعاقبة

إن وجود البشارة بالنبيﷺ في كتب الأنبياء من أهم ما أكدت عليه النصوص القرآنية والنبوية، التي أخبرت أنه ما من نبي إلا وذكّر أمته بأمر هذا النبي، وأخذ عليهم في ذلك الميثاق لئن بعث محمدﷺ ليؤمنن به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[١]..

وقال الامام علي عليه السلام: « ما بعث الله نبياً آدم فمن دونه إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد ﷺ، وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه»[٢] ..، ومن هؤلاء الأنبياء إبراهيمعليه السلام..، حيث دعا: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣] ..، ومنهم عيسىعليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[٤] ..، وقد قالﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور ساطع

---

(١) آل عمران: ٨١ .

(٢) تفسير الطبري: ج٣/٣٣٢

(٣) البقرة: ١٢٩.

(٤) الصف: ٦.

أضاءت منه قصور الشام »[١]..، ولما كان اهتمام الأنبياء بالنبي الخاتم بالغاً كان من الطبيعي أن تتحدث كتبهم عنه وعن صفاته وأحواله.

وقد أكد القرآن الكريم على وجود البشارة بنبينا في كتب اليهود والنصارى فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] ..، وقال الله تعالى ذاكراً وجود النبوءات عن محمد ﷺ وعن أمته واله والخيرة من أصحابه في التوراة والإنجيل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[٣] ..، ولم يخبر القرآن الكريم - بالتفاصيل - عن صفات رسول الله وأحواله المذكورة في كتب أهل الكتاب، لكنه أخبر عن حقيقة مهمة، وهي أن أهل الكتاب يعرفون رسول الله ﷺ معرفتهم أبناءهم، لكثرة ما حدثتهم الأنبياء والكتب عنه ﷺ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤] ..، وهذه المعرفة ولا ريب تصدر عن كثرة أو وضوح البشارات الواردة في كتبهم عنه عليه الصلاة

(١) رواه أحمد في المسند ١٢٧/٤وصحيح بن حبان ح/ ٦٤٠٤

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣)الفتح: ٢٩ .

(٤)الأنعام: ٢٠

والسلام . وسنذكر بعض النبوءات الواردة في كتب الديانات الاخرى ، راجين أن نوفق في إزالة الكثير مما أصابها من غبار التحريف، محترزين عن الكثير من سوء الفهم الذي وقع فيه النصارى في فهم هذه النبوءات.

٢- الملك المنتظر هو النبي الخاتم

في عام ٦٣ ق م وقعت القدس وفلسطين بيد الرومان الوثنيين ليبدأ من جديد اضطهاد آخر عانى منه بنو إسرائيل، بنو إسرائيل الذين كانوا يترقبون مخلصاً عظيماً يرد إليهم الملك الضائع والسؤدد الذي طال لهفهم إليه.

لقد كانوا يعلمون بما أخبرهم يعقوب وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء، يعلمون بمقدم النبي الملك الظافر الذي يقود أتباعه إلى عز الدنيا وسعادة الآخرة، لذا لما بعث المسيح العظيم ورأوا ما أعطاه الله من المعجزات تعلق الكثيرون منهم بشخص المسيح راجين أن يكون هو النبي المظفر العظيم، النبي المخلص، وهذا أمر يراه بجلاء الذي يتتبع أقوال معاصري السيد المسيح ع من اليهود.

وتنقل لنا الأسفار المقدسة قصص بعض أولئك الذين كانوا يترقبون الملك المظفر المنتظر،من هؤلاء سمعان الذي وصفه لوقا: «كان الرجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه»[1] .. فسمعان هذا أحد منتظري الخلاص.

ومنهم نثنائيل الذي صارح المسيح بشعوره وظنه « أجاب نثنائيل وقال له: يا معلّم أنت ابن الله؟ أنت ملك إسرائيل؟ .. أجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك.. »[2]..

---

(١) لوقا ٢/٢٥ .

(٢) يوحنا ١/٤٩-٥٠.

ولما أشيع أن المسيح صلب حزن بعضهم لتخلف الخلاص المنشود في شخص المسيح، إذ تعرض المسيح بعد القيامة لتلميذين وهو متنكر «فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين، فأجاب أحدهما – الذي اسمه كليوباس – وقال له: هل أنت متغرب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام، فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك»[1]..

لقد كانوا ينتظرون الخلاص على يديه كما كانت قد وعدت النصوص التوراتية بمقدم الملك الظافر الذي يخلص شعبه ويقودهم للنصر على الأمم، إذا بهم يسمعون بقتله وصلبه.

وقال له التلاميذ بعد القيامة: « يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه»[2]..، أي أن هذا ليس هو وقت الملك المنتظر.

يقول عوض سمعان: « إن المتفحصين لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ...كانوا ينتظرون المسيّا، لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتي من عند الله » .

---

(١)لوقا ٢٤/١٧-٢١

(٢)أعمال ١/٦-٧

وقد سبق أن ظن شعب إسرائيل - المتلهف لظهور النبي العظيم المظفر - أن يوحنا المعمدان هو المسيح المنتظر «إذ كان الشعب ينتظر، والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا، لعله المسيح»[١] .

وهذه الجموع المتربصة للخلاص لما رأت المسيح قالوا فيه ما قالوه من قبل عن يوحنا المعمدان «قالوا للمرأة: إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم»[٢] .

وأندرواس قال لأخيه سمعان: « قد وجدنا مسيا، الذي تفسيره المسيح»[٣].

والمراة السامرية لما رأته أعاجيبه « قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح، يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء»[٤] .

وشاع هذا الخبر في بني إسرائيل حتى خشي رؤساء الكهنة من بطش الرومان إن عرفوا أن المسيح المنتظر العظيم المظفر قد ظهر في شخص عيسى، فسارعوا إلى الإيقاع به، متهمين إياه بإفساد الأمة وادعاء أنه المخلص المنتظر، « فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً، وقالوا: ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمّتنا؟ فقال لهم واحد منهم، وهو قيافا، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون، إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها »[٥]..، فقالوا لبيلاطس: « إننا وجدنا هذا يفسد الأمة، ويمنع أن

(١) لوقا ١٥/٣.
(٢) يوحنا ٤٢/٤.
(٣) يوحنا ٤١/١.
(٤) يوحنا ٢٥/٤-٣٠.
(٥) يوحنا ٤٧/١١-٥٠.

تعطى جزية لقيصر قائلاً: إنه هو مسيح ملك، فسأله بيلاطس قائلاً: أنت ملك اليهود؟ فأجابه وقال: أنت تقول، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجد علّة في هذا الإنسان» [1]...، فقد ثبت لبيلاطس براءته مما اتهموه، إذ هو لم يدع أنه ملك اليهود المنتظر.

وهكذا رأينا أن المسيح عليه السلام لم يدع أنه النبي المنتظر ،وان النبي صلى الله عليه وآله أنه اخبر عن ذلك النبي الموعود، الذي بشرت به الأنبياء والكتب السماوية الذي تمثل بشخصه العظيم كما تقدم .

---

(1) لوقا ٢٣/٢-٤.

٣- النبوة في ذرية إسماعيل× المباركة

خرج إبراهيم عليه السلام من أرض العراق واتجه إلى الأرض المباركة، أرض فلسطين، وتذكر التوراة أن عمره حينذاك الخامسة والسبعين، ولما يولد له ولد، وخرج بعد أن بشره الله بأن قال: «أجعلك أمة عظيمة وأباركك أعظم اسمك وتكون بركة... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض»[١].

وفي أرض فلسطين حملت هاجر - مولاة سارة - بابنها إسماعيل، وتذكر التوراة غِيرة سارة من هاجر وقد أضحى لها ذرية، فيما حرمت سارة الولد والذرية حتى ذلك الحين. عندها أذلت سارة هاجر، فهربت هاجر من وجه مولاتها « فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه: إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن »[٢] .

لقد بشرها الملاك بابن عظيم يسود على كل أحد، لكنه أحياناً يكون على خلاف ذلك، فيتسلط عليه كل أحد. وولدت هاجر ابنها إسماعيل فكان بكراً لإبراهيم، «وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل»[٣] .

---

(١) التكوين ١٢/٢ - ٣.

(٢) التكوين ١٦/١١ - ١٢.

(٣)التكوين ١٦/١٦.

ولما بلغ إبراهيم التاسعة والتسعين تجددت البركة من الله لإبراهيم « قال له: أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً.. أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً... »[1] .

وابتلى الله إبراهيم، فأمره بذبح ابنه الوحيد يومذاك، إسماعيل، فاستجاب وابنه لأمر الله، وحينها «نادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء، وقال: بذاتي أقسمت، يقول الرب، إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً، كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه»[2] .

فطلب إبراهيم من الله الصلاح في ابنه إسماعيل: « قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك»[3] .

فاستجاب الله له وبشره بالبركة فيه وفي ابن آخر يهبه الله له، فقد بشره بميلاد إسحاق من زوجه سارة فقال: « وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً، وملوك شعوب منها يكونون... وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة » التكوين[4]..،

---

(١) **التكوين** ١٧/١ – ٨.

(٢) **التكوين** ٢٢/١-١٧.

(٣) **التكوين** ١٧/١٨.

(٤) ١٧/١٦ – ٢٠

وقد كان إسحاق أصغر من إسماعيل بأربعة عشر سنة «وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه»[1] .

وقد ولد لإبراهيم أبناء آخرون من زوجته قطورة، لكن الله لم يعده بالبركة فيهم «عاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا»[2] ..، ولم يخرج من نسلهم أنبياء لعدم الوعد فيهم بالبركة. وهذا الذي تذكره التوراة يتفق إلى حد كبير مع ما يقوله القرآن، فالقرآن يقرر بركة وعهداً لإبراهيم في صالحي ذريته من ابنيه المباركين إسماعيل وإسحاق، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] ..

(1) التكوين ٥/٢١.

(2) التكوين ١/٢٥-٢.

(3) البقرة: ١٢٤.

٤- اهل التوراة والانجيل يحرفون الكلم عن مواضعه

لقد اعتبر اليهود والنصارى ان النبوة من بعد قد عهدت الى إسحاق ،وذريته بوعد الهي أبدي لن ينتقل إلى غيرهم، فقد اعتمادا على ظاهر بعض النصوص الواردة في التوراة والانجيل جاء منها : «فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً، لنسله من بعده... ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية»[١] . فقد فهموا من كلمة «أبدياً» أن العهد لبني إسرائيل إلى يوم القيامة، وأنه غير مشروط ولا متعلق بصلاحهم وانقيادهم لأمر الله.

لكن البركة تبدأ بإسحاق دون إسماعيل، وذلك لا يعني حرمان إسماعيل من نصيبه من البركة «ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق، الذي تلده لك سارة في هذا الوقت، في السنة الآتية »[٢] .

فما هي البركة التي جعلها الله في إسحاق وإسماعيل؟!..، هي بلا ريب بركة النبوة والكتاب والملك بأمر الله والظهور باسمه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] ..، لكن كلمة الأبد لا تعني بالضرورة الاستمرار إلى قيام الساعة، بل تعني طول الفترة فحسب، ومثل هذا الاستخدام معهود في التوراة، يقول سفر الملوك: «فبرص نعمان يلصق

---

(١) التكوين ١٧/١٩-٢١

(٢) التكوين ١٧/٢١ .

(٣)الجاثية: ١٦.

بك وبنسلك إلى الأبد»[١] ..، فالأبد هنا غير مقصود، وإلا لزم أن نرى ذريته اليوم أمة كبيرة تتوالد مصابة بالبرص.

وفي سفر الأيام «وقال لي: إن سليمان ابنك، هو يبني بيتي وديارى، لأني اخترته لي ابناً، وأنا أكون له أباً، وأثبت مملكته إلى الأبد»[٢] ..، وقد انتهت مملكتهم منذ ما يربو على ٢٥٠٠ سنة على يد بختنصر البابلي، فالمراد بالأبدية الوقت الطويل فحسب.

ووقتَّ سفر التثنية الأبدية بما يساوي عشرة أجيال، فقال: «لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد، من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء»[٣] ..، فالجيل الحادي عشر للمؤابي غير محروم من جماعة الرب، وهو دون الأبد والقيامة.

ومثله قول دانيال لنبوخذ نصر: «فتكلم دانيال مع الملك: يا أيها الملك عش إلى الأبد»[٤] ..، أي عش طويلاً.

وعليه نقول: إن العهد قد بدأ بإسحاق، وهو وعد أبدي متطاول إلى أجيال بعيدة، وهو ما تم حين بعث الله النبيين في بني إسرائيل، وأرسل إليهم الكتب، وأيدهم بسلطانه وغلبته على الأمم التي جاورتهم، وأقام لهم مملكة ظافرة إلى حين.

ويتفق اليهود والنصارى مع المسلمين في أن بركة إسحاق هي النبوة والملك والكتاب والكثرة والغلبة، في حين يعتبرون وعد إسماعيل وبركته هي الكثرة

---

(١) ملوك ٢ ٢٧/٥.

(٢) الأيام ١ ٦/٢٨.

(٣) التثنية ٣/٣٣-٤.

(٤) دانيال ٢١/٦.

فقط، « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة »[1] ..

وهذا التفريق أيضاً بخلاف ما جاء في النصوص التي لم تفرق بالألفاظ والمعاني بين الأخوين المباركين، وعليه فبركة إسماعيل هي كبركة إسحاق: نبوة وكتاب وحكم وكثرة. فمتى تحقق ذلك لإسماعيل؟ متى اجتمع له ذلك؟..

نقول: لم يجتمع له ذلك إلا في بعثة نبينا ﷺ من ذريته، فتحولت قبائل بنيه المتفرقة الضعيفة إلى ملك عظيم ساد الدنيا، واجتمع إلى كثرتهم النبوة والكتاب، فتحقق ما وعد الله إبراهيم وهاجر في ابنهما إسماعيل ،وإلا فأين تحققت البركة في إسماعيل الذي أخبر النص عن حاله، فقال: « يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه »[2] ..،أي أنه يغلب تارة فيسود الجميع كما يسود الجميع عليه تارة أخرى.

وقد ساد العرب المسلمون الأمم برسول الله ودولته، وفيما عدا ذلك كانوا أذل الأمم وأضعفها وأبعدها عن أن يكونوا محلاً لبركة الله، إذ لا بركة في قبائل وثنية تكاثرت على عبادة الأوثان والظلم، فمثل هؤلاء لا يكونون في بركة الله. وإذا عدنا إلى النصوص العبرية القديمة التي تحدثت عن إسماعيل نجد النص كالتالي « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً » «بماد ماد» «اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة» «لجوى جدول»[3] ..، فكلمتي «ماد ماد» و «لجوى جدول» هما رمزان وضعا بدل اسم النبي ﷺ ، فكلمة «ماد

---

(1) التكوين ١٧/ ٢٠ .

(2) التكوين ١٢/٦.

(3) التكوين ١٢/ ٢.

ماد» – حسب حساب الجمّل الذي يهتم به اليهود ويرمزون به في كتبهم ونبوءاتهم تساوي ٩٢، ومثله كلمة « لجوى جدول » وهو ما يساوي كلمة « محمد » .

وكان السمؤل أحد أحبار اليهود المهتدين إلى الإسلام قد نبه إلى ذلك، ومثله فعل الحبر المهتدي عبد السلام في رسالته « الرسالة الهادية» .

ونقول: إن ما جاء في سفر التكوين عن وجود بركة في العرب تمثلت بنبوة وملك يقيمهم الله في العرب هو النقطة الأساس التي يخالفنا فيها أهل الكتاب، وهي المدخل الأهم لنبوءات الكتاب المقدس، إذ أن كثيراً مما يذكره المسلمون من نصوص توراتية يرونها نبوءات بالرسول صلى الله عليه وآله ، كثير من هذه النصوص يراها النصارى أيضاً نبوءات بالمسيح أو غيره من أنبياء اليهود، ويمنعون أن تخرج هذه النبوءات عن بني إسرائيل.

من هو الذبيح المبارك؟ وأين هي الأرض المباركة؟.. تتحدث التوراة عن قصة أم الله إبراهيم بذبح ابنه الوحيد ، وبدلاً من أن تسميه إسماعيل فإنها سمته إسحاق، وطبقاً لهذا التغيير تغير الزمان والمكان الذي جرت به القصة.

ومما جاء في القصة التوراتية « خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب به إلى أرض المريا... فلما أتيا الموضع.... لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأني الله علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني.... فدعا إبراهيم ذلك الموضع: » «يهوه يراه» « حتى إنه يقال اليوم: في جبل الرب يرى... يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة..»[1] ..

---

(1) التكوين ١/٢٢ – ١٨.

وفيما تقدم عدة بشارات تبشر بمجيء النبي ﷺ ، ونرى يد التحريف والعنصرية تحاول طمس هذه البشارات.

فمن التحريف البين إدراج اسم إسحاق الذي لم يكن وحيداً لإبراهيم قط، وقد تكرر وصف الذبيح بالوحيد ثلاث مرات، وقد رأينا أن إسماعيل كان وحيداً لإبراهيم أربع عشرة سنة ، والبكورية لإسماعيل محفوظة وإن كان ابن هاجر - مولاة سارة - التي اتخذها زوجة فيما بعد، فمنزلة الأم لا تؤثر في بكورية الابن ولا منزلته، وقد جاء في التوراة: « إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة، والأخرى مكروهة، فإن كان الابن البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين في كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته له حق البكورية»[1] ..

ومما يبطل أن يكون الذبيح إسحاق أن إبراهيم قد وعد فيه بالبركة والذرية منه قبل ولادته، وأنه سيكون كعدد نجوم السماء انظر التكوين ١٧/ ٢١ فالأمر بذبحه لا ابتلاء فيه، لأنه يعلم أنه سيكون لهذا الابن نسل مبارك..

وهو ما صرح به المسيح حسب إنجيل برنابا الذي نذكر الاستشهاد به استئناساً فقط، فقد قال له التلاميذ: « يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى: إن العهد صنع بإسحاق؟ أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب، ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أكملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا.. كيف يكون إسحاق البكر

---

(1) **التثنية ٢١/١٥ - ١٧.**

وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين»[1] ..، وفي التوراة المتداولة أن بينهما أربعة عشرة سنة. انظر التكوين ١٦/ ١٦، ٢١/ ٥ ومن ذلك كله فالذبيح هو إسماعيل، وجبل الرب في الأرض التي عاش فيها، والبركة لإبراهيم في ذريته محفوظة له بعد أن قام بالاستسلام لأمر الله وهمّ بذبح ابنه الوحيد ،فقد حرف أهل الكتاب اسم الذبيح، وحرفوا اسم المكان المعظم الذي جرت فيه أحداث القصة، فسمتها التوراة السامرية « الأرض المرشدة » . فيما سمته التوراة العبرانية « المريا » ، ولعله تحريف لكلمة « المروة » ، وهو اسم لجبل يقع داخل المسجد الحرام في مكة المكرمة اليوم، أي في المكان الذي درج فيه إسماعيل ،وقد اتفق النصان العبري والسامري على تسمية ذلك الموضع «جبل الله » ، ولم يكن هذا الاسم مستخدماً لبقعة معينة حينذاك ،لذا اختلف اليهود في تحديد مكانه اختلافاً بيناً فقال السامريون: هو جبل جرزيم. وقال العبرانيون: بل هو جبل أورشليم الذي بني عليه الهيكل بعد القصة بعدة قرون.

والحق أن قصة الذبح جرت في الأرض المرشدة وهي أرض العبادة، وهي مكة أو بلاد فاران، واختلافهم دليل على صحة ذلك، واتفاقهم على اسم المكان بجبل الرب صحيح، لكنهم اختلفوا في تحديده، وقد ربطوه بتسميات ظهرت بعد الحادثة بقرون عدة، وتجاهلوا البيت المعظم الذي بني في تلك البقعة حينذاك، ويسمى بيت الله كما سمي الجبل الذي في تلك البقعة جبل الله.

---

(١) برنابا ١/٤٤ - ١١.

٥- إشعيا رمز لمكة: (بالعاقر)

كما ان النبي إشعيا رمز لمكة في نص آخر بالعاقر، وتحدث عن الجموع الكثيرة التي تأتي إليها، ويعدها بالأمان والبركة والعز، فقال: « ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب: أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين والى اليسار، ويرث نسلك أمماً ويعمر مدناً خربة، لا تخافي لأنك لا تخزين، ولا تخجلي لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزي صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد..

قال راحمك الرب: أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية، هانذا أبني بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة، وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً، بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك، ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي، من اجتمع عليك فإليك يسقط، هانذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله، وأنا خلقت المهلك ليخرب كل آلة صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي»[1].

في النص مقارنة لمكة بأورشليم، فسمى مكة بالعاقر لأنها لم تلد قبل محمد النبي ﷺ ، ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس، لأنه بيت الأنبياء ومعدن

---

(1) إشفيا ٥٤/١-١٧.

الوحي، وقد يشكل هنا أن نبوة إسماعيل كانت في مكة، فلا تسمى حينذاك عاقراً، لكن المراد منه مقارنة نسبية مع أنبياء أورشليم. وقوله: «لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل» ، يقصد فيه أن زوارها أو أبناءها أكثر من زوار أورشليم التي يسميها ذات البعل، ولفظة بنو المستوحشة يراد منها ذرية إسماعيل، الذي وصفته التوراة – كما سبق– بأنه وحشي « وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه: إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه»[١].

كما تحدثت المزامير عن مدينة المسيح المخلص، المدينة المباركة التي فيها بيت الله، والتي تتضاعف فيها الحسنات، فالعمل فيها يعدل الألوف في سواها، وقد سماها باسمها «بكة» ، فجاء فيها: « طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك، صلاه، طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء » في الترجمة الإنجليزية: « through the valley of ba'ca make it a well» فذكر أن اسمها بكة، وترجمته إلى وادي البكاء صورة من التحريف كما أسلفنا «يصيرونه ينبوعاً، أيضاً ببركات يغطون مورة، يذهبون من قوة إلى قوة، يرون قدام الله في صهيون، يا رب إله الجنود اسمع صلاتي وأصغ يا إله يعقوب، صلاه، يا مجننا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك، لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف، اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار »[٢].

(١) التكوين ١١/١٦ – ١٢.

(٢) المزامير ٤/٨٤–١٠.

والنص كما جاء في ترجمة الكاثوليك كالتالي: «يجتازون في وادي البكاء، فيجعلونه ينابيع ماء، لأن المشترع يغمرهم ببركاته، فينطلقون من قوة إلى قوة، إلى أن يتجلى لهم إله الآلهة في صهيون»[١] .

وهذا الاسم العظيم «بكة» هو اسم بلد محمد ﷺ..، الاسم الذي استخدمه القرآن للبلد الحرام : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٢]..

(١)المزامير ٨٣/٧-٨.

(٢)آل عمران: ٩٦.

٦- بشارة يعقوب عليه السلام (بشيلون: رسول الله)

وقد توالى الأنبياء وهم يبشرون بمقدم نبي آخر الزمان، ويذكرون صفاته وأحواله والتي من أهمها أنه ليس من بني إسرائيل كما أنه صاحب شريعة تدوم إلى الأبد، يسحق أعداءه، ودعوته تكون لخير جميع الأمم.

وهذه الصفات لم تتوافر في أحد ادعى النبوة سواه، ولا يمكن للنصارى حمل تلك النبوءات التي يقرون في أنها نبوءات، لا يمكن لهم أن يحملوها على غيره صلى الله عليه وآله، إذ موسى وعيسى كانا نبيين إلى بني إسرائيل فقط، وكان موسى صاحب شريعة انتصر أتباعه على أعدائهم، وأما عيسى فلم ينزل بشريعة مستقلة، إذ هو نزل بشريعة موسى وبتكميلها، فهو القائل: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل»[١] ..، ولم يقض له أن ينتصر على أعدائه، بل تزعم النصارى أنهم تمكنوا منه وصلبوه. فكيف يقال بأنه المختار الذي يسحق أعداءه وتترقبه الأمم؟ وأقدم النبوءات الكتابية التي تحدثت عن النبي الخاتم جاءت في وصية يعقوب لبنيه قبل وفاته حين قال لهم: « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب »[٢]..

وتختلف التراجم في ثلاث من كلمات النص، فقد أبدل البعض كلمة «قضيب» بالملك أو الصولجان، وكلها بمعنى واحد، وكذا أبدلت كلمة «مشترع» بالراسم والمدبر، وهي متقاربة بمعنى صاحب الشريعة مدبر قومه.

---

(١) متى ١٧/٥.

(٢) التكوين ١٠/٤٩.

وأما الاختلاف الأهم فكان في كلمة «شيلون» التي أبقتها معجم الترجمات على حالها، وفي تراجم عبرانية أخرى قيل: « إلى أن يأتي المسيح » ، وقد فسر القس إبراهيم لوقا «شيلون» بالمسيح، واعتبرها ترجمة صحيحة لكلمة « شيلوه » العبرية، وذكرت الطبعة الأمريكية للكتاب المقدس في هامشها أن كلمة « شيلون » تعني: الأمان، أو: الذي له. فما هو المعنى الدقيق للكلمة «شيلون» التي تدور حولها النبوءة؟ في الإجابة عن هذا السؤال يرى القس السابق عبد الأحد داود أن كلمة « شيلون » لا تخرج في أصلها العبري عن معان، أهمها:-

١- أن تكون من الكلمة سريانية مكونة من كلمتي «بشيتا» و «لوه» ، ومعنى الأولى منهما: «هو» أو «الذي» ، والثانية «لوه» معناها « له » ، ويصبح معنى النبوءة حسب ترجمته المفسرة: « إن الطابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع، ويكون له خضوع الشعوب » .

٢- أن تكون الكلمة محرفة من كلمة « شيلواح » ومعناها: « رسول الله » كما يعبر بالكلمة مجازاً عن الزوجة المطلقة لأنها ترسل بعيداً، وتفسير الكلمة بالرسالة مال إليه القديس جيروم، فترجم العبارة « ذلك الذي أرسل » .

وأياً كان المعنى فإن النبوءة تتحدث عن شخص تدعوه: شيلون. وليس عن المكان المسمى «شيلون» كما ادعى بعض المفسرين، فمن هو شيلون؟ لا يمكن القول بأن شيلون هو موسى، لأن ملوك يهوذا كانوا بعده بقرون، ولا يمكن القول بأنه سليمان، لأن الملك دام بعده في ذريته ولم ترفع به الشريعة، كما لم ترفع بالمسيح الذي ما جاء لنقض الناموس ولم تخضع له شعوب، بل ولا شعب

اليهودية الذين بعث إليهم فقال: « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[١]..

والمسيح لم يكن ملكاً بل هرب منهم لما أرادوا تمليكه عليهم « لما علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده »[٢] ..

ولما ادعى عليه اليهود عند بيلاطس أنه يقول عن نفسه بأنه ملك نفى ذلك، وتحدث عن مملكة روحية مجازية غير حقيقية فقال: « مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود»[٣]..

ولا يمكن أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل، لأن مبعثه يقطع صولجان وشريعة إسرائيل كما يفهم من النص، فمن ذا يكون شيلون؟ إنه النبي الذي بشرت به هاجر وإبراهيم « يده على كل واحد »[٤] ..، والذي قال عنه النبي حزقيال: « يأتي الذي له الحكم فأعطيه إياه »[٥] ..، وقد قال المسيح مبشراً بالذي ينسخ الشرائع بشريعته: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل»[٦] ..، هذا «الذي له الكل» ، هو « الذي له الحكم » ،وهو النبي الذي يسميه بولس بالكامل، ومجيئه فقط يبطل الشريعة وينسخها «وأما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم

---

(١)متى ١٥ / ٢٤
(٢)يوحنا ١٥/٦
(٣)يوحنا ٣٦/١٨
(٤)التكوين ١٢/١٦
(٥)حزقيال ٢٧/٢١
(٦) متى ١٧/٥-١٨.

فسيبطل، لأننا نعلم بعض العلم، ونتنبأ بعض التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل، فحينئذ يبطل ما هو بعض»[1]..

(1) كورنثوس ١ ١٢/٨-١٠.

٧- موسى عليه السلام يبشر بظهور نبي ورسول مثله

وينـزل موسى عن جبل الطور بعد ما كلمه ربه فيقول مخاطباً بني إسرائيل: « قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي.وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصِر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه [1] ».

٨- المزامير تبشر بصفات نبي آخر الزمان

وها هي المزامير تبشر بالنبي الخاتم، ويصفه أحد مزاميرها فيقول مخاطباً إياه باسم الملك: « فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر: أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نَبْلُك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوبٌ تحتك يسقطون. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم. من

---

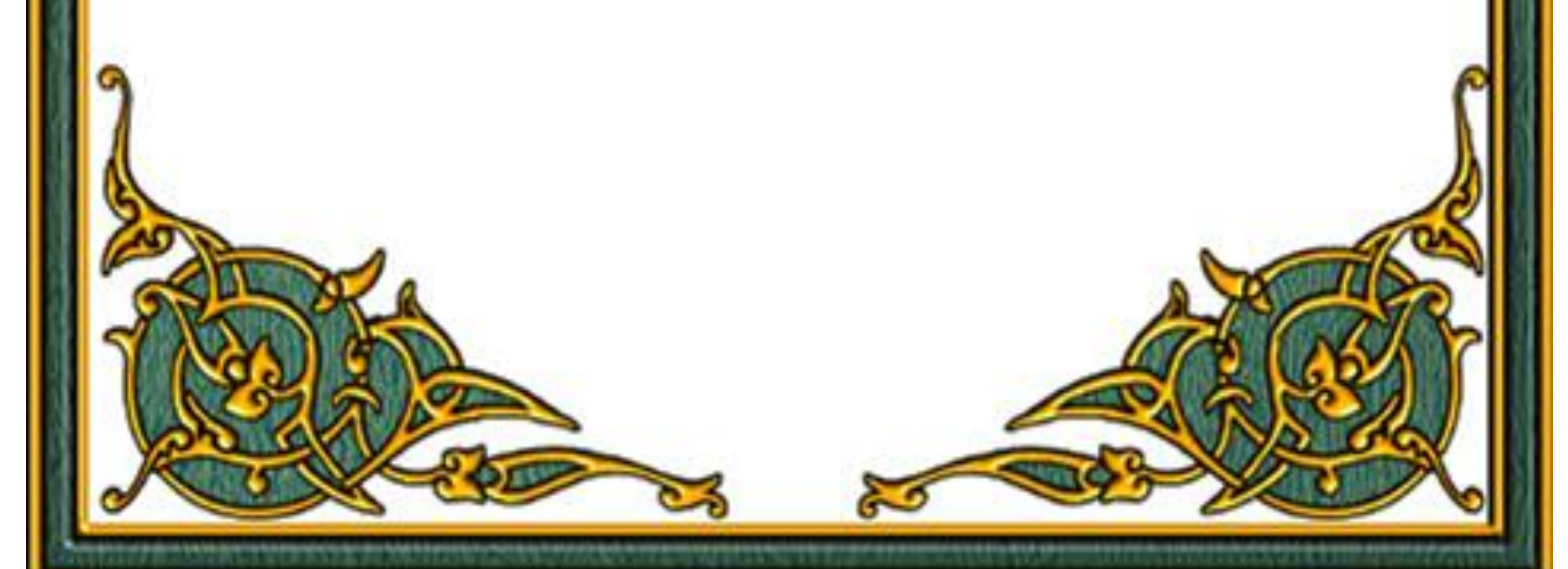
(١) التثنية ١٨ / ١٧ - ٢٢ .

أجل ذلك مسحك إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.... بنات ملوك بين حظياتك، جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك، انسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد »[1] ..

(1) المزمور ١/٤٥ - ١٧.

الفصل الثالث : النبوة الخاتمة في اقلام المفكرين الغربيين

1- ارهاصات الحدث الكوني العظيم
2- دلائل النبوة
3- عالمية الرسالة الإسلامية



١- ارهاصات الحدث الكوني العظيم

يقول توماس كاريل : ((و على هذه الطريقة عاش العرب دهوراً طوالاً خاملي الذكر غامضي الشأن، أناسا ذوي مناقب جليلة و صفات كبيرة، ينتظرون من حيث لا يشعرون اليوم الذي يشاد فيه بذكرهم ، و يطير في الأفاق صيتهم، و يرتفع إلى عنان السماء صوتهم، و ما ذلك ببعيد، و كأنما كانت وثنياتهم قد وصلت إلى طور الاضمحلال و أذنت بالسقوط و قد حدثت بينهم دواعي اختلال و فوران))[1]..

يقول وليم موير في كتابه حياة محمد : ((كانت أولى الخصائص التي تلفت انتباهنا ، إذاً هي انقسام العرب إلى جماعات لاتعد و لا تحصى ، خاضعة لقانون في الشرف و الأخلاق واحد، و متمسكة بأهداب عادات واحدة ، و متحدثة في الأعم الأغلب بلغة واحدة، و لكن كلاً منها مستقلة عن الأخرى. كانت تلك الجماعات لا تعرف طمأنينة و لا استقراراً و كثيراً ما نشبت الحروب بينهما و حتى لو اتفق أن جمعتها رابطة الدم أو رابطة المصلحة فسرعان ما كانت تتفرق لاتفه الأسباب وتستلم لعداواتها الحقود. و هكذا كان خليقاً بمن يرجع البصر، قبيل بزوغ الإسلام إلى التاريخ العربي ، أن يرى – و كأنما بواسطة المبداع [١٠] Kaleidoscop – ، حالة من التمازج و التنافر لا تفتأ تتغير و تتقلب، مما أدى إلى إجهاض أيما محاولة من محاولات الوحدة الشاملة .. و كان لابد لهذه المشكلة من

---

(١) توماس كاريل : الأبطال ، ص ٦٨.

أن تحل عن طريق أيما قوة توفق إلى إخضاع العرب أو جمع شملهم ، و لقد حل محمد المشكلة))[١] ..

و يتحدث القس لوزون في كتابه (الله في السماء)) عن الانقلاب المنتظر الذي قاده الرسول ﷺ ، بقولة : ((لقد بعث محمد رسولاً إلى العرب و عاشت بلاد العرب الأزمان الطويلة عاكفة على عبادة الأصنام و توغلت في ذلك حتى احتاجت إلى انقلاب ديني عظيم))[٢]..

و يتحدث مولانا محمد علي عن عظمة الرسول في نشر الوحدانية الإسلامية في بلاد العرب و قضاءه على الوثنية ، قائلاً : ((من حضيض هذه الوثنية المخزية انتشل الرسول محمد ﷺ بلاد العرب كلها في فترة من الزمان القصير لا تعدوا عشرين عاماً. انه لم يستأصل الوثنية من بلاد العرب استئصالاً نهائياً فحسب، بل أضرم في قلوب أولائك العرب أنفسهم شرارة من الحماسة لوحدانية الله دفعتهم إلى الانطلاق بعيدا في كل رجاً من إرجاء العالم المعروف آنذاك لرفع راية الإله الواحد، أيضا. و هذا الفطام لبلد برمته – يمتد على مساحة هائلة مقدارها مليون و مئتا ألف ميل مربع – عن لعنة الوثنية التي كانت تهيمن عليه هيمنة مطلقة نتيجة الإرث و التقاليد الراسخة، في مدة لا تتجاوز خمس قرن، بحيث اكتسبت ذلك البلد لقب (محطم الأوثان) المشرف، أقول أليس هذا الفطام هو أعظم معجزة قدر للعالم أن يشهدها في تاريخه كله؟ إلا يستحق الرجل الذي أحدث هذا التحول التقدمي لقب (خير الأنام) استحقاقاً لا مراء فيه))[٣]..

---

(١) وليم مور : حياة محمد مولاي محمد علي : محمد رسول الله ص ١٢-١٣ (ترجمة مصطفى فهمي و عبد الحميد جودة السحار).

(٢) القس لوزون : الله في السماء

(٣) مولانا محمد علي : حياة محمد و رسالته ، ص ٢٣-٢٤.

يقول القس الفرنسي لوازون في محاضرة له عن الرسولﷺ : ((أواخر جميع الأنبياء كان يعتقد المسلمون هو محمد الذي ولد في مكة لعشر ليال مضت من ابريل سنة ٥٧٠ للميلاد ، وكانت عائلته شرف عائلة في قريش ، وهى إحدى القبائل الشهيرة في بلاد العرب ، وصاحب النسب المرتقي إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وقد كان جده متولياً سدانة الكعبة ، وكانت دار حكومتهم ، معبد ديانة العرب الوثنية ، وتوفي والده عبد الله قبل ولادته ، و توفيت أمه وهو ابن ستة أعوام ، وكان على أعظم ما يكون من كرم الطباع وشريف الأخلاق ، ومنتهى الحياء ، وشدة الإحساس ، وقد كفله جده وهو ابن ست سنوات وأثناء كفالته بدأت تظهر من محمد علامات الذكاء ورجاحة العقل ، ومر بصبيان يلعبون فدعوه للعب معهم ، فأجابهم أن الإنسان خلق للأعمال الجليلة ، والمقاصد الشريفة ، لا للأعمال السافلة والأمور الباطلة ، وكان على خلق عظيم ، وشيم مرضية ، شفوقاً على الأطفال ، مطبوعاً على الإحسان ، غير متشدق في نفسه ، و لا صلف في معاملته مع الناس ، وكان حائزاً قوة إدراك عجيبة ، وذكاء مفرط ، وعواطف رقيقة شريفة))(١)..

ولم يغب على بال المستشرق والوزير الروماني كونستانس جيورجيو (المولود عام ١٩١٦) في كتابه : " نظر ة جديدة في سيرة رسول الله" ، أن يذكر أن السيد المسيح قال لحوارييه حسب رواية في إنجيل يوحنا : إنه سيأتي بعدي شخص يقويكم ويحميكم وإنه سيرسل إليكم" باركلت" لأنني لن أدعكم يتامى ، وقد أعلن المسيحيون بعد صعود السيد المسيح أن "باركلت" هو نفسه روح القدس . . . يقول جورجيو : ((ويرى المسلمون أن النصارى حرفوا كلمة السيد المسيح ،

---

(١) القس لوازون : نقلا عن المقتطف، ج٤ ، عدد٧ .

لأنه قال انه سيأتي بعدي " بريكلي توس" ومعناها باليونانية (أحمد)وهو بمعنى (الممدوح) . وهو اسم نبي المسلمين . و (محمد) معناها الأكثر مدحاً . ويروى أن اليهود ذكروا هذه الكلمة "بريكي تول" ويعلمون أن السيد المسيح سيخلفه (أحمد) ، لأن اليهود (والعهدة على الرواية) ليلة ولادة رسول الله ﷺ اضطربوا كثيراً ، وتخوفوا من وضع آمنة))[1] ..

---

(1) ك . جيورجيو : نظرة جديدة في سيرة رسول الله ، ص ٢٣ (ترجمة د. محمد التونجي).

٢- دلائل النبوة

وأجمع مؤرخو السيرة على استقامة الرسول ﷺ وأمانته التي اعترف فيا أعداؤه قبل أصدقائه . . . وكان يلقب قبل البعثة بالأمين . . . . حتى أن زواج خديجة منها سببه استقامته ، يقول أستاذ اللغات الشرقية ورئيس مجمع البحوث والآداب في باريس المستشرق الفرنسي كليمان هوار (١٨٥٤ -١٩٢٧) في الجزء الأول من كتابه : (تاريخ العرب)) :((كيف تعرف محمد إلى خديجة ، وكيف أمكن أن يحصل على ثقتها ويتزوج بها ، الجواب على الشق الأول لا زال غير معروف عندنا ، وأما على الشق الثاني فقد اتفقت الأخبار على أن محمداً كان في الدرجة العليا من شرف النفس ، وكان يلقب بالأمين ، أي بالرجل الثقة المعتمد عليه إلى أقصى درجة ، إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة))[١] ..

وعن رفيع أخلاقه وسامي خصاله وعصمته من الانزلاق في مهاوي الرذيلة يتحد المستشرق جرسان دتاسي ، قائلاً : ((أن محمداً ولد في حضن الوثنية ، ولكنه منذ نعومة أظفاره أظهر بعبقرية فذة ، انزعاجاً عظيماً من الرذيلة وحباً حاداً للفضيلة ، وإخلاصاً ونية حسنة غير عاديين إلى درجة أن أطلق عليه مواطنوه في ذلك العهد اسم الأمين))[٢] ..

وبديهي أن يعتبر الباحثون المسلمون والمؤرخون العرب تلك الصفات ، و هذه السجايا من دلائل النبوة ، و تتمثل أشد ما تتمثل بعصمة الله رسوله المرتقب من

---

(١) كليمان هوار : تاريخ العرب.

(٢) جرسان دتاسي : نقلا عن كتاب (هذا هو الإسلام) ، ص ٨٧.

أجواء الرذيلة الشائعة في جاهلية العرب ، وأنه ﷺ كان يشعر انطلاقاً من حدسه بأن عليه الابتعاد عن المعاصي والموبقات ، وأن الله جلت عظمته اختاره لأداء رسالة عظيمة ..، وعن هذا الأمر يتحدث الباحث الأرجنتيني دون بايرون (١٨٣٩- ١٩٠٠) في مؤلفه : « أتح لنسفك فرصة » فيقول : « لا يبعد أن يكون محمد يحس بنفسه أنه في طينته أرق من معاصريه ، وأنه يفوقهم جميعاً ذكاء وعبقرية ، وأن الله اختاره لأمر عظيم وقد اتفق المؤرخون على أن محمد بن عبد الله كان ممتازاً بين قومه بأخلاق حميدة ، من صدق الحديث والأمانة والكرم وحسن الشمائل والتواضع حتى سماه أهل بلده الأمين ، وكان من شدة ثقتهم به وبأمانته يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم ، وكان لا يشرب الاشربة المسكرة ، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً ، وكان يعيش مما يدره عليه عمله من خير ، ذلك أن والده لم يترك له شيئاً يذكر ، ولما تزوج خديجة كان يعمل بأموالها)) [١] ..

إذاً ، كانت حياة الرسول الأولى ، قبل أن ينزل عليه الوحي حياة الهدوء والسلام ، يميل للدعة ، مما وقف تجاهه المستشرق الايرلندي السير وليم موير (١٨٠٨-١٨٦٧) في كتابه (الإسلام) ، فقال : ((إن محمداً لم يكن في وقت من الأوقات طامعاً في الغنى ، إنما سعيه كان لغيره ، ولو ترك الأمر لنفسه لآثر أن يعيش في هدوء وسلام قانعاً بحالته)) ..

وقال ، في مكان آخر : ((إن النبى محمداً في شبابه طبع بالهدوء والدعة والطهر والابتعاد عن المعاصي التي كانت قريش تعرف بها))[٢]..

ويقول المستشرق سيديو ، في الجزء الأول من كتابه : (تاريخ العرب) : ((

---

(١) دون بايرون : اتح لنفسك فرصة (تعريب عبد المنعم محمد الزيادي).

(٢) وليم موير : الإسلام ، ص ١٠٣.

ولقد بلغ محمد من العمر خمساً وعشرين سنة استحق بحسن مسرته واستقامته مع الناس أن يلقب بالأمين ثم استمر على هذه الصفات الحميدة حتى نادى بالرسالة ودعا قومه إليها فعارضوه أشد معارضة ، ولكن سرعان ما لبوا دعوته وناصروه ، وما زال في قومه يعطف على الصغير ويحنو على الكبير ، ويفيض عليم من عمله وأخلاقه)) [1] ..

وعن هذه القضية يتحدث المؤرخ والمستشرق الإنكليزي السير موير في كتابه : (حياة محمد) : إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه، وحسن سلوكه . ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله . وخبير به من أنعم النظر في تاريخه المجيد ، وذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم [2]..

ولما بلغ النبي محمد ﷺ من عمره الخامسة والثلاثين ، تعرضت الكعبة للهدم ، فعمدت قريش إلى بنائها ، فلما تنازع القرشيون فيما بينهم من الذي يضع الحجر الأسود في مكانه ، اتفقوا على تحكم أول من يخرج لهم ، .. فكان ﷺ أول من خرج ، فحكم بينهم بأن يجعلوا الحجر الأسود في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل .

وجاء في أحدى روايات كتب الحديث الشريف : أنهم قالوا : نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة ، فكان أول من دخل منه ، فاخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كل فخذ من قبائل قريش بأن يأخذ بطائفة من الثوب

---

(١) سيديو : تاريخ العرب ، ص ٥٨.

(٢) موير ، وليم : حياة محمد ، ص ٢٠.

فرفعوه م أخذه فوضعه بيده الشريفة)) [١] ..

وقد استرعت هذه الحادثة انتباه المستشرق الألماني أغسطينوس موللر (١١٤٨- ١٨٩٤) الذي درس اللغة العربية في فيينا ، فتوقف عندها ملياً ، وقال في كتابه « الإسلام » : ((ذكر أن قريشاً هدمت الكعبة ، وكان النبي هو ابن -٣٥- منة يشتغل معهم ، وتعرض لتنازع قريش برفع الحجر الأسود فيضعه مكانه ، ثم تعرض لسياسة النبي محمد في هذا المقام وأنه أدهش قريشاً بسياسته الرشيدة .

ولقد راح بعض المستشرقين يعلق على هذا الحادث تعليقات مليئة بالتقدير والإعجاب لهذه الشعلة العبقرية التي مكنت محمداً من تفهم الموقف بسرعة عظيمة ، والتوسل بهذه الحيلة البريئة إلى إرضاء زعماء قريش جميعاً)) [٢] ..

كما توقف الأب هنري لامنس عند هذه الحادثة فقال : ((لما اختلفت قريش في قضية بناء الكعبة ، وأي فخذ منها يجب أن يعهد إليه بوضع الحجر الأسود في مكانه ، وكادوا يقتتلون ، فاتفقوا على أن يعهدوا بذلك إلى محمد بن عبد الإله الهاشمي ، قائلين هذا هو الأمين)) [٣] ..

لقد ربط المستشرق الأسوجي أرثر جيلمان في كتابه : « الشرق » بين هذه الحادثة التي منعت اقتتال القبائل العربية التي هي بطون لقريش ووحدت إرادتهم في بناء الكعبة ، وبين المرحلة اللاحقة لبدء البعثة ، والتي تشكل مقدمة للنبوة بقوله : ((لا بد أن يكون محمد قد تأثر بإعجاب القوم وتقديرهم العظيم هذه الفكرة التي بسطت السلام بين مختلف القبائل ، ولا يبعد أن يكون محمد قد أخذ يحس بنفسه

---

(١) رواه احمد و أبو داود الطياسي و البيهقي و أبو نعيم و يعقوب بن سفيان و حسنة الهيثمي.

(٢) اغسطينوس موللر : الإسلام.

(٣) هنري لامنس : عهد الإسلام ، ص٦٥.

أنه من طينة أرقى من معاصريه ، وأنه يفوقهم جميعاً ذكاءً وعبقرية ، وأن الله قد اختاره لأمر عظيم وقد اتفق المؤرخون على أن محمداً كان ممتازاً بين قومه بأخلاقه جميلة ، من صدق الحديث ، والأمانة ، والكرم وحسن . الشمائل و التواضع ، حتى سماه أهل بلده – الأمين – و كان من شدة ثقتم به يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم ، و كان لا يشرب الأشربة المسكرة لا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً))[1]..

أجل ، لقد شهر عن الرسول ابتعاده عن الوثنية السائدة في قريش ، وكان دائم التفكير في أحوال أمته ، ينأى عن كل أسباب التلوث الفكري والعملي ، فعصمته إرادة الله عن ارتكاب المعاصي ، يأنس في نفسه الحدس فيما هو مقبل عليه ، بمرحلة تأمله في الحقيقة الأزلية لسر الوجود وجوهر الألوهية . . يقول المستشرق كادا دوفيك (١٨٠٥-١٨٧٧) في مؤلفه : « مفكرو الإسلام » : أن محمداً من سن الخامسة والعشرين إلى الأربعين كان كثير التفكير هادئاً ساكناً، وكان حليماً تقياً حسن الأخلاق ، وانه عندما بلغ الأربعين توجهت جميع قواه العقلية إلى جهة التأمل في جوهر الألوهية ، والبحث عن الحقيقة الدينية ومذ ذاك أخذ يعتزل الناس ويخلو بنفسه في غار حراء بقرب مكة))[2]..

أن هذه الحالة الفكرية التأملية التعبدية التي عاشها الرسول - عليه السلام - كانت عملياً المقدمة للنبوة ، فالبحث عن الحقيقة في شؤون الحياة ، وواقع العرب ، ومسائل الدين لا بد أن يقود إلى معرفة الحقيقة ، وان يقترب الإنسان أكثر فأكثر من خالقه ، خاصة ، وأنه كان على موعد مرتقب مع الوحي الإلهي . . . . يقول

---

(١) اثر جيلمان : الشرق ، ص ١١٧.

(٢) كاد دوفيك : مفكروا الإسلام.

توماس كارليل في هذا الصدد : ((لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه – كما قلت – بأهواله ومخاوفه وروانقه ومباهرة ، لم يك هناك من الأباطيل ، ما يحجب ذلك عنه ، فكان لسان حال ذلك السر الهائل يناجيه : « هأنذا » . فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى الهي مقدس ، و ما كلمة مثل هذا الرجل الا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية ، وكل القلوب واعية ، وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل قول جفاء ، وما زال منذ الأعوام الطوال ، منذ أيام رحله وأسفاره ، يجول بخاطره آلاف من الأفكار : ماذا أنا ؟ وما ذلك الشيء ، العديم النهاية الذي أعيش فيه ، والذي يسميه الناس كوناً ؟ وما هي الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا أعتقد ؟ وماذا أفعل ؟ فهل أجابته على ذلك صخور جبل حراء ، أو شماريخ طود الطور ، أو تلك القفار والفلوات ؟ كلا ولا قبة الفلك الدوار، واختلاف الليل والنهار ، ، ولا النجوم الزاهرة والأنواء الماطرة . لم يجبه لا هذا ولا ذاك ، وما للجواب عن ذلك إلا روح الرجل وألا ما أودع الله فيه من سره . وهذا ما ينبغي لكل إنسان أن يسأل عنه نفسه ، فقد أحس ذلك الرجل القفري أن هذه هي كبرى المسائل وأهم الأمور ، وكل شيء عديم الأهمية في جانبها ، وكان لم إذا بحث عن الجواب في فرق اليونان الجدلية ، أو في روايات اليهود المبهمة ، أو نظام وثنية العرب الفاسدة ، لم يجده . وقد قلت إن أهم خصائص البطل ، وأول صفاته وأخرها ، هي أن ينظر من خلال الظواهر إلى البواطن ، فأما العادات والاستعمالات والاعتبارات والاصطلاحات ، فينبذها حميدة كانت أو رديئة . وكان يقول في نفسه : (هذه الأوثان التي يعبدها القوم لا بد من أن يكون وراءها ودونها شيء ما هي لم إلا رمز له وإشارة إليه ، وألا فهي باطل وزور ، وقطع من الخشب لا تضير ولا تنفع) .وما لهذا الرجل والأصنام ، وأنى تؤثر في مثله أوثان ولو رصعت بالنجوم لا بالذهب ، ولو عبدها الجحاجح

من عدنان والأقيال من حمير، أي خير له في هذه ولو عبدها الناس كافة ؟ إنه في وادٍ وهم في واد، هم يعمهون في ضلالهم ، وهو ماثل بين يدي الطبيعة قد سطعت لعينيه الحقيقة الهائلة ، فإما أن يجيبها و إلا فقد حبط سعيه ، وكان من الخاسرين. فلتجبها يا محمد، أجب ، لابد من أن توجد الجواب ، أيزعم الكاذبون أنه الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره ؟ حمق وأيم الله ، وسخافة وهوس، أي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب ، وفي تاج قيصر وصولجان كسرى، وجميع ما بالأرض من تيجان وصوالجة ، وأين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر، أفي مشيخة مكة ، وقضيب مفضض الطرف ، أو في ملك كسري و تاج ذهبي الذؤابة منجاة للمرء ومظفرة ؟ كلا، إذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين القائل أن محمداً كاذب ونعد مواقفهم عاراً وسبة » وسخافة وحمقاً» فلنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع))[1]..

---

(1) توماس كارليل : الإبطال ، ص ٦٩-٧٠.

٣- عالمية الرسالة الإسلامية

لقد كان أثر الرسالة الإسلامية عميقاً في جزيرة العرب التي تحققت وحدتها العملية في المرحلة الأخيرة من حياة الرسول ، و مع اكتمال الدين الإسلامي..، هذا ، وإن الثورة الكبيرة التي حدثت فيها لم تقف عند تلك الحدود ، بل سرعان ما خرجت ألوية الدعوة الإسلامية ، لتشمل سائر بلاد العرب ثم العالم الإسلامي ، لتؤكد هويتها العالمية ورسالتها الإنسانية فالإسلام ليس دين العرب وحسب ، بل هو لسائر الشعوب والأمم..

يحدث الباحث الفرنسي المستشرق(تيين دينيه) عن وثبة الإسلام ، بقوله : ((عندما رفع الله إليه مؤسس الإسلام العبقري ، كان هذا الدين القويم قد تم تنظيمه نهائياً ، وبكل دقة ، حتى في أقل تفاصيله شأناً . وكانت جنود الله قد أخضعت بلاد العرب كلها ، وبدأت في مهاجمة إمبراطورية القيادة الضخمة بالشام . وقد أثار القلق الطبيعي المؤقت ،عقب موت القائد الملهم ، بعض الفتن العارضة ،إلا أن الإسلام كان قد بلغ من تماسك بنائه ، و من حرارة إيمان أهله ، ما جعله يبهر العالم بوثبته الهائلة التي لا نظن ان لها في سجلات التاريخ مثيلا . ففي اقل من عام ، ورغم قلة عددهم ،استطاع العرب الأمجاد _وقد اندفعوا لأول مرة في تاريخهم ، خارج حدود جزيرتهم المحرومة من مواهب النعم _ أن يستولوا على أغلب بقاع العالم المتحضر القديم : من الهند إلى الأندلس))[1] ..

أما إلى رخ الفرنسي المستشرق سيديو فإنه رأى في انتشار رسالة الإسلام ليس مجرد توسع إقليمي ، بل نشر روح الحضارة والمدنية يقول : ((وبعد ظهور محمد ﷺ الذي

---

(1) تيين دينيه : محمد رسول الله : ص ٣٣٥.

جعل قبائل العرب أمة واحدة ، تقصد مقصداً واحداً ظهرت للعيان أمة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر تاج في أسبانية إلى نهر الغانج في الهند ، ورفعت على منار الإشادة أعلام التمدين في أقطار الأرض أيام كانت أوروبة مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة)) [1]..

هذا ، ولقد أثارت مسألة ولادة الإسلام ومن ثم انتشاره بتلك الوثبة العملاقة اهتمام المستشرقين الغربيين ، فكان أن طرحت التساؤلات عن سر جاذبية الإسلام وهويته وقوته وانطلاقته العظيمة تلك..

يقول روجيه غارودي في كتابه (ما يعد به الإسلام) : ((إن ولادة الإسلام وانتشاره يطرحان قضية نوعية خاصة إذ لا يجوز الاكتفاء بالإشارة إلى أن الجزيرة العربية بحاضرتيها مكة والمدينة ، كانت نقطة التقاء المعجزة التجارية الكبرى والقوافل المتوجهة من الشرق إلى الغرب ، ومن أوروبة والشرق الأدنى إلى الهند والصين ، ومن البحر المتوسط إلى المحيط الهندي ، لأن الاكتفاء بهذه الإشارة قد يفهم منه أنه بفضل وقوع الجزيرة العربية على مفترق طرق الحضارات قد تم تمازج الأديان والثقافات التي لم يكن الإسلام إلا محصلة لها ومبشراً بها ، بل إنه خلافاً لهذا فقد انطلق من مكة والمدينة وشبه الجزيرة العربية بصحاريها وواحاتها ، وراح يشع على مدى قرون ، عقيدة واحدة وروحاً جماعية مشتركة سينسجم عنها ثقافة نوعية أغنت الثقافات الأخرى وجددتها وذلك عبر ثلاث قارات من الهند إلى أسبانية ، ومن آسية الوسطى إلى قلب إفريقية . وظاهرة الانتشار هذه لا تشبهها أية ظاهرة أخرى سابقة أو لاحقة ، نعني هجرة الموجات البدوية العديدة من أقاسي آسية ، والغزوات الأوروبية الكبرى على أمريكة و إفريقية ، هذه الغزوات التي تتمتع بتفوق عسكري مطلق ، قوامه المدفع والبندقية أولا و الرشاش ثانياً . ولم تكن الجزيرة العربية غزيرة السكان ، ولم يكن العرب يملكون ما يملك الفرس

---

(1) سيدو : خلاصة تاريخ العرب ص ٥٤.

والبيزنطيون من أسلحة وفنون حربية . و هكذا فالإمبراطورية العربية لم تقم إذاً على أساس من علاقات (القوة) التي تؤمن لها تفوق ساحقاً . زد على ذلك أنه ليس بالامكان تطبيق هذه الأطروحة أو تلك من مقولات (ماركسية) مطلقة مختزلة على الظاهرة الإسلامية ، هذه الأطروحة التي تفسر حركة التاريخ وثوراته وتحولاته بالمستوى التقني والعلاقات الاقتصادية وصراع الطبقات الناجم عنها))[١]..

لقد شغلت قضية انتشار الإسلام وقوة وثبته أفكار العظماء ، ومنهم نابليون الذي سحر _كرجل عسكري_ بالفتوحات العربية الإسلامية ، وكان يرى وراءها قوة سرية كامنة في نشأة الإسلام وقوته الذاتية ، وانتهى إلى النتيجة القائلة : ((إنه ، إذا طرحنا جانباً الظروف العرضية التي تأتي بالعجائب ، فلا بد أن يكون في نشأة الإسلام سر لا نعلمه ، وأن هناك علة أولى مجهولة جعلت الإسلام ينتصر بشكل عجيب على المسيحية وربما كانت هذه العلة الأولى المجهولة : أن هؤلاء القوم ،الذي وثبوا فجأة من أعماق الصحارى أمة قوية ، ومواهب عبقرية ، وحماس لا يقهر ، أو ربما كانت هذه العلة شيئاً آخر من هذا القبيل))[٢]..

إلاً أن روجيه غارودي ، حاول أن يضع يده على السر ، الذي وجده كامناً في رسالة الإسلام النوعية ، وأن تفسيره لا يمكن أن يتم خارج إطار الإسلام نفسه ، أو بمعزل عن تفهم العقيدة والروح الجماعية في الإسلام، ويخلص إلى القول : ((ولكن إذا لم تكن مسلماً ولم تنظر إلى القرآن على أنه كتاب منزل من الله على محمد فمن المتعذر عليك كمؤرخ أن تنظر إلى تفجر ذلك الينبوع الحياتي الذي راح يزعزع العالم على أنه حقيقة دامغة ، وذلك دون الخوض في تبسيطات الفلسفة الوضعية وأحكامها السابقة .إذ التسليم بهذه الحقيقة الأساسية لا يلزما الاستغناء عن اللجوء إلى التفسير ، وإنما يدعونا سلفاً بكل بساطة إلى

---

(١) روجيه غارودي ما يعد به الإسلام : ص ٤٢-٤٣.

(٢) مذكرات سانت هلين ج٣ ، ص ١٨٣ (نقلا عن كتاب (اتيين دينيه) : محمد رسول الله : ص ٣٣٥-٣٣٦).

أن لا نستثني هذا البعد الحياتي أو ذاك ، من حركة الولادة و النمو التي تمارسها الإنسانية في مسيرتها التاريخية . وفي كل تاريخ مفعم بالإنسانية تلعب (الغايات) والأهداف دورا فاعلاً لا يقل عن دور الأسباب))[١] ..

ومن هنا نجد أن انتشار الإسلام حدث بفعل قوته الذاتية ، و لم ينجم عن أسباب خارجية ، أو حصراً بالنشاط العسكري للمسلمين ، يقول غارودي : ((إذاً لا يمكن تفسير ظاهرة انتشار الإسلام بعوامل خارجية كالضعف البالغ أو الأغلال الذي انتاب الإمبراطوريات المهزومة (الإمبراطورية الرومانية الشرقية وإمبراطورية الفرس الساسانية وإمبراطورية الفيزيغوت في أسبانية) كما لا يمكن تفسرها بعوامل عسكرية صرفة ولكن الأسباب العميقة لذلك الانتشار العاصف أسباب (داخلية) تتصل بجوهر الإسلام وروحه ، فعشية موت النبي وعلى مدى اثنتي عشرة سنة (من ٦٣٣_ ٦٤٥م) تمت سيطرة العرب على فلسطين وسورية وما بين النمرين ومصر . ولم تقف في وجه الموجة الأولى إلا الحواجز الطبيعية كسلسلة جبال طوروس في آسية الوسطى، وجبال شرقي إيران ، وصحارى ليبية والنوبة في الغرب))[٢] ..

كان نضال المسلمين الملحمي في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر رسالة الخير والإنسانية لسائر أبناء البشر ، هذه الرسالة التي لم تقتصر على الجانب الديني ، وإقامة العبادات والشعائر فقط ، وإنما عملت اجتماعياً على تحقيق المساواة والأخوة ، وناضلت بروح من التسامح لا تعرف الأحقاد الطائفية الدينية . . فكانت رسالة تحرير للشعوب لا استعباد ، وكانت الشعوب تستقبل المسلمين استقبال المحرر من ، ويتابع غارودي بحث قضية سر انتشار الإسلام وقوة جاذبيته » بقوله : ((و هكذا وفي كل مرة تتم فيها هزيمة الطبقة المسيطرة المكروهة من شعبها كان العرب يستقبلون على أنهم محررون من قبل ضحايا

---

(١) روجيه غارودي : ص ٤٣-٤٤.

(٢)المصدر السابق ، ص ٥٩-٦٠.

الإرهاب الاجتماعي أو السياسي أو الاضطهاد الديني .

كان انتصار العرب تحريراً وتخليصاً ، فلقد حرروا المسيحيين القائلين بطبيعة واحدة للمسيح المهتمين بالهرطقة من قبل الإمبراطورية البيزنطية ، كما حرروا النساطرة في بلاد الفرس ، وقبائل البربر التي كانت قد تبنت مذهب الأسقف (دونات) والتي استعدى عليها القديس أوغسطين ، إمبراطور رومة ليبطش بها ، لأنها مارقة في نظره ، كما كان انتصار العرب تحريراً لليهود والنصارى الأريوسيين وأتباع بريسيليان في أسبانية من اضطهاد (الأكليروس) المتعصب ، كما كان تحريراً للفلاحين الأقباط في مصر الذين كانوا يعانون من ابتزاز كبار ملاكي الأراضي في بيزنطة)) [١]..

ومن جانبه ، اكد فلاسكو إيفانيز في كتابه : " في ظل الكاتدرائية " أن ظاهرة انتشار الإسلام لم تأخذ طابع الاستعمار ولا سمة الغزو ، يقول : ((إن أسبانية المعجزة من قبل ملوك لاهوتيين ، وأساقفة شرسين ، قد فتحت ذراعيها للفاتحين .. وفي مدى عامين استولى العرب على بلاد استغرق استرجاعها سبعة قرون . ولم تكن القضية قضية غزو أو اجتياح بحد السيف وإنما هي مسألة مجتمع جديد تترسخ جذوره القوية في جميع الاتجاهات . أما مبدأ حرية ممارسة الشعائر _وهو حجر الزاوية لعظمة كل أمة _ فكان العرب حريصين على تطبيقه ، ففي كل المدن التي حكموها كانت كنيسة المسيحيين تقوم إلى جانب معبد اليهود))[٢]..

وحدة الإسلام الداخلية وتماسكه واندماج الفرد في حياة الجماعة وخلق الأخوة الإسلامية ، قد مدت الرسالة بتلك القدرة العجيبة على اقتراح المعجزات ، رسوخاً في البقاء كنظام متماسك رغم كل أسباب التمزق ، ورغم انقسام العالم الإسلامي . يقول مارسيل بوازار: ((لقد كان الدين حافزاً فعالاً على تأليف كيان متميز لم تصدعه صروف

---

(١) المصدر السابق ٦١.

(٢) فلاسكو إيفانيز : في ظل الكاتدرائية (السباق ، ص ٦٤).

الدهر، ولإ الاحتكاك بمختلف الحضارات على مر العصور.. ولقد تمكن المجتمع الإسلامي الذي قام على الدين من الصمود في وجه التفكيك السياسي، ولم تتأثر الروابط الدينية على الحدود والتخوم بين الدول كبير التأثير)) [١] ..

وكان لتقدمية التعاليم الإسلامية إلى جانب العوامل الأخرى سر جاذبية الإسلام وخصيصة انتشاره السريع ، يقول بوازار : ((لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبي أنها تقدمية بشكل جوهري . وتفسر هذه الخصائص انتشار الإسلام السريع بصوره خارقة خلال القرون الأولى من تاريخه)) [٢] ..

كما اعتبر المستشرق الفرنسي هليار بلوك انتشار رسالة الإسلام معجزة حملت للإنسانية الخير والعطاء ، ونادت بالمثل العليا ، يقول في كتابه : « محمد والقرآن » : ((إني أقول إن معجزة كهذه من حيث خطرها وبعد أثرها ، وعظيم نتائجها ، كانت مسوقة بقوة لا يستطاع تفسيرها ، وإن كان ما لدينا من المصادر والوثائق يساعدنا على تفهم الأسباب التي جعلتها أمراً واقعاً منظوراً .

كانت الحركة دينية ، ما في ذلك شك ، فلم يخرج العرب من جزيرتهم للنهب والسلب ، وإنما خرجوا لنشر الدين الجديد الذي جاء به محمد ، والتبشير بالمثل العليا التي نادى بها محمد ، والصفات الجليلة التي دعا إليها محمد)) [٣] ..

([١]) مارسيل بوزار : إنسانية الإسلام ، ص ٧٣-٧٤.

([٢])المصدر السابق ، ص ٧٤.

(٣) هليار بلوك : محمد و القران.